الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية الموسم الجامعي:2021/2020

قسم العلوم الاجتماعية / تخصص: فلسفة المستوى: ثانية ماستر فلسفة عامة

المقياس: فلسفة الدين الأستاذ: عبد الله زين (أ/ محاضر.ب)

المحاضرة 03: الدين والفلسفة/ علاقة الدين بالفلسفة- المقدس في الفكر الفلسفي المعاصر

أولا: علاقة الدين بالفلسفة

***تمهيد:**

إذا كان الدين قديما قدم الإنسان، فكذلك الحال بالنسبة للفسفة " كنمط من أنماط التفكير، يعبّر عن انفراد الإنسان وتميّزه بالعقل؛ فمنذ القديم أخذ الإنسان يفكر فيما حوله من ظواهر الطبيعة والوجود، ويتساءل عن أصلها، وعن علاقته كإنسان بما حوله من ظواهر وبما وراءها، ومن ثم - وحسب طبيعة هذه الأسئلة - نشأ الدين والعقيدة الدينية المقدسة في ذات الوقت الذي ظهرت فيه الفلسفة، كتفكير نظري مجرد حول ظواهر الوجود، لكن ما الشكل الذي أخذته العلاقة بين الدين والفلسفة في زمن لاحق ؟

يبدو أن الخبرتين الدينية والفلسفية قديمتان قدم الإنسان ذاته؛ فقد تساءل الإنسان منذ وجوده عن حقيقة الوجود وأصله ومصيره، وقدمت الحضارات الشرقية القديمة أولى إجابات الإنسان عن تساؤلاته، وقادته هذه التساؤلات وتلك الإجابات إلى الإيمان بنوع من العقيدة الدينية حول طبيعة العالم وأصله، والتي اختلفت بين الشعوب، بحسب خبرة كل شعب وظروفه المختلفة .

لم يكن ممكنا- قبل ظهور الفلسفة عند الإغريق- الفصل بين الخبرة الدينية والخبرة الفلسفية، لكن شيئا فشيئا بدأت الخبرتان تتمايزان لدى الإنسان، وخاصة بعد أن ظهرت الفلسفة عند اليونان- كنسق فكري منظم ومتماسك- خاصة بظهور الفيلسوف اليوناني " أرسطو" الذي حاول تقديم فلسفته بعيدا عن النزعة الدينية .

أما على الصعيد الديني، فقد حدث هذا التمايز بين الخبرتين الدينية والفلسفية، منذ أن نزل الوحي الإلهي بالشرائع السماوية، خاصة في المسيحية والإسلام؛ فقد حسمت هذه الشرائع الدينية المنزّلة مسألة الفرق بين هاتين الخبرتين، و أصبح الناس يميزون بوضوح بين الدين باعتباره خبرة تستند على الإيمان والتسليم بما ورد في النصوص الدينية، وبين الفلسفة باعتبارها خبرة

تتعلق بنتائج بحث العقل الإنساني في الوجود . وبات التداخل بين الدين والفلسفة مسألة تنتمي إلى تاريخ العلاقة بينهما، وفي ضوء هذا التمايز بين الخبرتين الدينية والفلسفية، ظهرت بعض التساؤلات حول جدوى الدين، من قبيل: ما جدوى الفلسفة في ظل وجود الدين ؟ وبمعنى أوضح: ما وجه الحاجة إلى البحث الفلسفي في حقيقة الوجود، بعدما اتضح الكثير حول حقيقته من خلال النصوص الدينية المنزّلة ؟!

وقد ترتب عن هذه التساؤلات وغيرها من التساؤلات التي طرحها العقل المؤمن، أن ظهر نوع من العداء أحيانا والصراع أحيانا أخرى، بين رجال الدين والفلاسفة، وترتب عن ذلك ظهور فرق دينية تحارب الفلسفة، بحجة أنها ضد الدين، لكن الحقيقة التي أدركتها هذه الفرق التي توالت من الفلاسفة منذ عصر مدرسة الإسكندرية الفلسفية حتى عصر الفلسفة الإسلامية (ابن رشد)، أنه لا يوجد أي تعارض بين الدين والفلسفة، فالحق لا يضاد الحق، وأن الحجة العقلية الفلسفية داعمة للإيمان والاعتقاد الديني ومؤكدة له .

إذا كانت إشكالية التوفيق بين الفلسفة الدين قد صاغها وقدّم لها الحلول فلاسفة العصور الوسطى من مسيحيين ومسلمين، فإن ما يعنينا الآن هو بيان الفروق بين الدين والفلسفة، فمن الضروري التمييز بينهما: من حيث الموضوع، ومن حيث المصدر والمنهج، ومن حيث الغاية التي يستهدفانها .

أ-من حيث الموضوع:

رغم التقاء الفلسفة مع الدين في معالجة بعض الموضوعات، مثل: أصل الكون، وطبيعة الوجود...الخ، إلا أن لكل منهما موضوعاته الخاصة؛ فالفيلسوف يهتم كثيرا بالمشكلات العلمية للعالم وتفسيرات العلماء وتحليلها، كما يهتم بمشكلات الإنسان المعرفية واللغوية والجمالية وغيرها . يتسم البحث الفلسفي عموما يتسم بالشمول واتساع آفاق التأمل وتجدده وليس على أدل من ذلك من قول " الفارابي ":« لا يوجد شيء إلا وللفلسفة فيه مدخل » . مع ذلك ثمة مسائل غيبية يعجز العقل البشري عن الخوض فيها، وإدراك أي حقائق بشأنها .

أما الدين فيختص بالبحث في القضايا الدينية (معتقدات، سلوكات، شعائر، طقوس، أخلاقيات دينية...الخ)، وحقائقه مطلقة، لأن مصدرها علوي سماوي إلهي . وبالمقابل الحقيقة الفلسفية حقيقة نسبية تختلف من مذهب فلسفي لآخر، بل من فيلسوف إلى آخر؛ لأن مصدرها بشري .

ب-من حيث المنهج:

يقوم الدين على الإيمان والتسليم بمجموعة الحقائق التي مصدرها إلهي، سواء أكانت هذه الحقائق منزلة عن طريق الوحي الإلهي إلى الرسل والأنبياء، كما في الديانات السماوية، أم كانت منزلة من مصدر علوي غامض عند أصحاب الديانات الأخرى غير السماوية .

في حين أن الفلسفة بطبيعتها، قائمة على ما يفكر فيه عقل الإنسان وعلى ما تقوده إليه تأملاته، وعلى الحجج العقلية المقنعة، التي تجعل هذا الفيلسوف أو ذاك يؤمن بحقيقة معينة، ترفض التسليم والإذعان الديني . يحتل العقل لدى الفيلسوف الصدارة؛ إذ ينتصر الفيلسوف للعقل دائما؛ فمن صميم الفلسفة أن يبذل الفيلسوف جهدا عقليا لتجنب المسلّمات الغامضة أو الخفية أيا كان مصدرها، فهو يخضع كل شيء للنقاش والجدل ولا يعتقد في أي شيء، إلا إذا امتلك الدليل العقلي على صحته .

ج-من حيث الغاية:

رغم اتفاق الفلسفة والدين في الغاية القصوى، والمتمثلة في إدراك الحقيقة والوصول إلى الحق، إلا أن بينهما اختلافا في الهدف، فالذي يحرك الفيلسوف إلى المعرفة هو شوقه إلى الحقيقة، دون الاهتمام بانسجام معارفه مع آماله وأمانيه البشرية المتأصلة أو عدم انسجامها، فالهم الأساسي بالنسبة للفيلسوف هو بلوغ الحقيقة، حتى لو كانت النتائج مقلقة أو غير مريحة وتدخله في أزمات نفسية أو اجتماعية .

أما الدين فيستهدف إعطاء المؤمن به والعامل وفقا لتعاليمه الملتزم بأوامره ونواهيه، أكبر قدر من الشعور بالأمان والطمأنينة في حاضره الدنيوي وفي مستقبله الأخروي . فالدين يهدف دائما إلى توفير الانسجام والراحة العمليين للإنسان، وهذا ما يجعل للدين الأهمية المباشرة في حياة الناس، فهو سبيلهم إلى الراحة العقلية والطمأنينة النفسية في حياتهم الدنيا وفي حياتهم الأخرى .

وبالطبع فليس معنى ذلك أن الفلسفة هي المصدر الدائم لقلق الإنسان في مواجهة الواقع والمصير، بينما الدين هو مصدر لراحته في مواجهتهما كما يتصور البعض . بل إن من الدين من يدفع الإنسان دفعا إلى التفلسف لفهم الواقع واستشراف المستقبل. ومن الفلسفة فلسفات إيمانية تسند المعتقد الديني على حجج عقلية تريح العقل كما تريح الوجدان .

إن الفلسفة بمنهجها العقلي الساعي دوما إلى فهم حقيقة الوجود والجوانب المختلفة لحياة الإنسان وطرق تحقيق سعادته، والدين بمنهجه التسليمي- الإيماني؛ كلاهما ضروري لحياة الإنسان؛ فالدين يخاطب الوجدان، والفلسفة تخاطب العقل، ومع ذلك فإن خاتم الأديان- الدين الإسلامي- قد خاطب العقل والوجدان معا . ولذلك جاءت دعوته إلى اعتبار التفكير العقلي والتأمل الفلسفي أقرب ما يكون إلى الفريضة الدينية التي لا يكتمل إيمان المؤمن به، إلا إذا أعملهما في كل شؤونه الدنيوية والدينية .

إن الحقيقة التي لا شك فيها، أن الدين والفلسفة ضروريان لحياة الإنسان العاقل في الوقت الراهن، كما كانا ضروريين له في الماضي، وإن اختلفت الصورة بعد أن تمايزت الحقيقة الدينية عن الحقيقة الفلسفية، وأصبحنا نعي مصدر كل منهما ومنهج التعامل معهما وفهمهما .

أنظر: مصطفى النشار، مدخل جديد إلى فلسفة الدين، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2015، ط 02،ص: 49-53 .